Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمقتضاها يغسل السياب يديه من ماضيه العقائدى الماركسى والعروبى، ويحمل عليه وعلى رموزه ومقوماته، ويتبنّى أفكار منظمة «حرية الثقافة» التى ثبت فيما بعد أنها مجرد فرع لوكالة المخابرات المركزية الأميركية. وكل ذلك لقاء خدمات يُدفع بعضها عينًا، ويدفع بعضها الآخر نقدًا. وهى صفقة يجد الباحث أدلة لا تُحصى عليها، سواء فى ثنايا هذه الرسائل التى سنعرض لأهم ما ورد فيها، أو فى سواها من مستندات ووثائق مرحلة الخمسينيات الثقافية العربية.

رسائل السياب إلى يوسف الخال صورة حية لمأساة إنسانية تتمثل فى شخص ـ هو السياب ـ يعانى من مرضين: الأول هو المرض نفسه، والثانى هو الفقر. وقد ظن لفرط سذاجته وعدم تقديره الدقيق للأمور، أنه عثر فى شخص يوسف الخال على الإكسير الحديث الذى يستطيع تحويل فقره إلى غنى، أى على صورة من الإكسير القديم الذى ظن القدماء أن باستطاعته تحويل المعادن الرّثة إلى معادن ثمينة. وعلى هذا الأساس بدأ السياب المنسحب من الحزب الشيوعى يتعاون مع مجلة «شعر» وفى ظنه أنه سيودّع عهد الفقر إلى الأبد. ولكن يبدو على ضوء هذه الرسائل أن الثمن لم يكن حرزانًا، لا بلغة اليوم ولا حتى بلغة الأمس، أى متناسبًا مع ما بذله السياب من جهد، وما أراقه من ماء الوجه والكرامة. فكل ما قبضه السياب من مال وحصل عليه من خدمات لقاء هذه الصفقة التى أفقدته كرامته ولوثت سمعته فى ذلك الوقت، وحتى منتهى الوقت، لا يعدو ما يبقى السيّاب على قيد الحياة، أو يردّ عنه بعض غوائل الفقر. أى أن الإكسير الذى لهث السياب وراءه لم يكن سوى سراب، بدليل أنه كان يشكو فى رسائله للخال من «وعود» قُطعت له (منها وعد سيمون جارجى أحد أعمدة منظمة «حرية الثقافة» والحلبى الأصل الذى يعمل منذ سنوات بعيدة أستاذًا للأدب العربى فى جامعة چنيف) ولم تُنفّذ، وكأنه يستجير به «للدفع»، أو للمطالبة بالدفع. ويبدو أن الخال لعب مع السياب لعبة ذكية، فهو يريد من جهة أن يكسبه، وهو يريد من جهة أخرى أن يفهمه أن المسألة ليست عبارة عن فلوس فقط لا غير، ففيها أيضًا «موقف» و«ثقافة»، وعلى السياب أن يرى فى مجلة شعر أدبًا لا «وظيفة» فحسب. ويبدو أن السياب الذى كان قطع كل مراكبه مع أمسه الشيوعى والعروبى قدّم أقصى التساهلات فى علاقته الجديدة مع الخال وجماعته، وإلى حد كتابة محاضرة أعدها ليلقيها فى مؤتمر روما الذى نظمته هذه المنظمة «مليئة بأفكار تثقف وأفكار هذه المنظمة من حيث